

تطوير الكفاية التواصلية في ضوء معطيات الافتراض المسبق

Developing communicative competence in light of presupposition data

زكرياء مخلوفي

جامعة الشاذلي بن جديد الطارف الجزائر
Makhloufi-zakaria@univ-eltarf.dz

يوسف مكاحلية*

جامعة الشاذلي بن جديد الطارف الجزائر
y.mekahlia@univ-eltarf.dz

تاريخ القبول: 2025/09/22

تاريخ الإرسال: 2025/03/02

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على آلية الافتراض المسبق ودورها في تطوير نشاط التواصل في إطار العملية التعليمية في الطّور الابتدائي، من خلال استنتاج أهمية الافتراض المسبق كآلية تداولية ومعرفة مدى تضمّنه في العملية التواصلية بين أطراف الخطاب.

الافتراض المسبق عنصر أساسي في العملية التواصلية إذ يمكن اعتباره جسرا معرفيا بين المتكلم والمستمع واستثماره في التعليم يساعد في تنمية الكفاءة التواصلية للمتعلم.

يساهم الافتراض المسبق بشكل كبير في تمام عملية التواصل بين أطراف الخطاب كونه متعلق بالقول، والتّواصل يعتمد على القول إذ أن الانطلاق في هذه العملية يشترط من افتراضات سابقة يمتلكها المعلم والمتعلم، وتتمثل أهمية هذا البحث في الكشف عن علاقة الافتراض المسبق بالتواصل بالاعتماد على المنهج الوصفي في التحليل.

تتضح مساهمة الافتراض المسبق في تطوير الكفاية التواصلية من خلال عديد المزايا لعل أهمها تنمية القدرة لدى المتعلم على الاستنتاج وتقتصد من جهده اللغوي، تطوير مهارات الحوار لديه، تسهيل الافتراضات المسبقة الوعي الثقافي والاجتماعي لدى المتعلم وبها يرفع قدرته على التواصل.

الكلمات المفتاحية: افتراض مسبق؛ عملية تعليمية؛ تواصل؛ خطاب؛ معلم؛ متعلم

Abstract : This study aims to identify the mechanism of presupposition and its role in developing communication activity, this is done through the educational process in the primary stage, by deducing the importance of presupposition as a deliberative mechanism and knowing the extent to which it is included in the communicative process between the parties to the discourse.

Presupposition is an essential element in the communication process, as it can be considered a cognitive bridge between the speaker and the listener, and its investment in education helps in developing the learner's communicative competence.

Presupposition contributes significantly to the completion of the communication process between the parties to the speech, as it is related to what is said, communication depends on words, as the beginning of this process begins with

* المؤلف المرسل: يوسف مكاحلية.

previous assumption held by the teacher and the learner ,the importance of this researched is to reveal the relationship of presupposition to communication based on the descriptive approach in the analysis.

The contribution of presupposition to the development of communicative competence is evident through many advantages, perhaps the most important of which is developing the learners ability to infer and economize his linguistic effort, developing his dialogue skills, and presuppositions facilitating the learners cultural and social awareness , thereby raising his ability to communicate.

Keywords: Presupposition; Educational process; Communication ; Discourse; Teacher; Education

مقدمة:

تعد التداولية من أحدث الاتجاهات اللسانية في الدرس اللغوي المعاصر؛ تعتمد في تحليلها للخطاب على مجموعة من الآليات التي تستند في عملها على التركيز على السياقات المختلفة التي يتم خلالها إنتاج الكلام من جهة، ومن جهة ثانية تفسر المقاصد وتحدد الأغراض المرجوة تحقيقها من الملفوظات الكلامية، ومن بين الآليات التي تعتمد عليها التداولية في سبيل تحقيق ذلك ما يعرف بظاهرة الافتراض المسبق، التي نالت اهتمام الباحثين في مجال العملية التواصلية والتعليمية، كونه يعتبر من بين أهم الأدوات التحليلية التي يعتمد عليها الدّراس في تحليل شتى أنواع النصوص، ومدار بحثنا قائم حول هذه الظاهرة وإسهاماتها في تطوير الكفاية التواصلية في العملية التعليمية وهو ما أفضى بنا بالضرورة إلى طرح العديد من التساؤلات التي تعد محاور أساسية يقوم عليها البحث؛ فما المقصود بالافتراض المسبق، وما علاقته بالتواصل؟ وإلى أي مدى يسهم في تطوير الكفاية التواصلية للمتعلم؟

وبناء على هذا الطرح يسعى البحث إلى التعرف على كيفية اشتغال هذه الآلية التداولية في إطار النشاط التعليمي، ومدى إسهامها في تطوير الكفاءة التواصلية لدى المتعلم، وبيان ارتباطها بالعملية التلفظية، متبعين في تحقيق ذلك المنهج الوصفي في تقديم الظاهرة اللغوية والمنهج التداولي في مقارنة الظاهرة وتحليل أمثلة مُستلّة من النصوص التعليمية المبرمجة ضمن نشاط فهم المكتوب للسنة الرابعة من التعليم ابتدائي.

1- مفهوم الافتراض المسبق:

إنّ ظاهرة الافتراض المسبق قد كانت "مثار اهتمام الباحثين منذ أوائل العقد السابع من القرن العشرين 1970" وتعود المباحث الأولى لدراسته إلى أحد فلاسفة أكسفورد وهو ستراوسن الذي أعاد بلورة مفهوم متداول لدى الرّياضي الألماني فريجه²، ويرتكز الافتراض المسبق على مجموعة من المفاهيم المتعلقة بعبارات تخاطبية تحدث ضمن الموقف التواصلية السائد بين المتكلّم والمتلقي؛ الذي تتحدّد ضمنه معاني الملفوظات التي تمّ إنجازها، ويقوم هذا العمل بناءً على المعرفة المسبقة بين طرفي التواصل للمعلومات واشترائهما فيها، ولتوضيح ذلك نقدّم المثال الآتي:

- أغلق الباب.

- لا تغلق الباب.

كلاهما يحمل خلفيّة افتراض مسبق أن الباب مفتوح.

تعد الافتراضات المسبقة بمثابة معلومات خفيّة مدسوسة في الكلام حيث "ينطلق أصحاب نظرية التّواصل من المعطيات الأساسية التي تنتقل من المتكلم إلى المتلقي ويفترض أن تكون معروفة، ولكنها غير صريحة عند المتحدثين ، وتشكل ما يدعى بالخلفية التواصلية والضرورية لنجاحها خلفية متضمنة في القول ذاته"³، حيث تبني الافتراضات المسبقة على مجموعة من الشّروط التي من بينها اشتراك أفراد المجتمع في مجموعة من المعارف والمعتقدات التي تأتي متضمنة في الخطاب اللّغوي المتحقّق ضمن سياق تواصل محدد وهو ما يسهّل عمليّة التوافق والفهم المفضي إلى نجاح العمليّة التّواصلية بين طرفي العمليّة التّخاطبية. وتوضح الباحثة الفرنسية "أوريكيوني" الافتراض بقولها: "تصنف في خانة الافتراضات كل المعلومات التي وإن لم تكن مقررّة جبراً (أي تلك التي لا تشكل مبدئياً موضوع الخطاب الكلامي الحقيقي الواجب نقله) ، إلا أنها تنتج تلقائياً من صياغة القول التي تكون مدونة فيه بشكل جوهري بغض النظر عن خصوصية النطاق التعبيري الأدائي"⁴

يتبيّن من خلال ما تقدّم عرضه من أقوال أن الافتراضات تقوم على استنتاجات المتلقي التي تكون مقررّة لديه مسبقاً، فالخطابات الموجهة للسماع تؤثر فيه من خلال طريقة الكلام ونطقه، كما تحدّد سلوكيّاته وانفعالاته اتجاه ما سمعه، ولذلك لا بد من اشتراك المتكلمين في الخلفية التواصلية للقدرة على التفاهم، فحسب ماوضّحته "أوريكيوني" أنّ المعلومات التي تظهر في الافتراضات تكون غير مقررّة، أي أنّها تتكون بشكل تلقائي لدى المتكلم ولا تعبر عن الكلام الحقيقي الواجب نقله؛ هنا وجب أن يكون السّامع متفطنا وذكياً حتى يتمكّن من استنتاج ما يُضمّنه المتكلم من معاني ومقاصد في خطابه. وحسب ما يراه "أوزفالد ديكر" أنّ الافتراض "جزء لا يتجزأ من معنى الجملة إذ لا أحد يمكن أن يتكلم دون أن يكون كلامه افتراضاً إلى درجة أن الافتراض يشكل الفعل الأساسي للكلام"،⁵ فعلى حدّ هذا القول فإن الافتراض يبني على الجملة التي يتلفظ بها المتكلم؛ إذ لا بد من وجود خلفيّة مسبقة للمتلقى يؤسس عليها كلامه لوقوع تواصل صحيح وفعال بينه وبين مخاطبه.

2- أنواع الافتراض المسبق:

2-1- الافتراض المسبق الدلالي :

يستلزم الافتراض المسبق الدلالي "أن يكون مشروط بالصدق بين قضيتين فإذا كانت (أ) صادقة كان من اللازم أن تكون (ب) صادقة فإذا قلنا مثلاً: أن المرأة التي تزوجها زيد كانت أرملة. وكان هذا القول صادقا أي مطابقا للواقع لزم أن يكون القول زيد تزوج امرأة صادقة أيضاً إذ أنه مفترض سلفاً "ينبغي هذا النوع من الافتراض على جانب الصّدق أو الكذب، فالعبارات المطابقة للواقع صادقة والمخالفة له

كاذبة ومثال ذلك يقول لك أحدهم "شربت ماء البحر كله" فالسامع للعبارة لا يستطيع تصديق ذلك لأنه أمر غير طبيعي خلاف قولك "شربت كأساً من الماء" فهذا أمر طبيعي يسهل تصديقه.

2-2- الافتراض المسبق التداولي:

هذا النوع من الافتراض "لا دخل له بالصدق أو الكذب، فالقضية الأساسية يمكن أن تنفي دون أن يؤثر ذلك في الافتراض السابق، فإذا قلت "سيارتي جديدة" ثم قلت سيارتي ليست جديدة فعلى الرغم من التناقض في قوانين الافتراض المسبق هو أن لك سيارة"⁷ هذا النوع من الافتراض لا يتأثر بالنفي وتبقى المعلومة ثابتة إذ في المثال السابق المتكلم يمتلك سيارة في الحالتين سواء جديدة أو قديمة.

كما نجد نوعين آخرين من الافتراض المسبق، "افتراض مسبق دلالي" يكون مشروطاً بالصدق في القضية للتطابق مع الواقع، يذكر المتكلم قضية تستوجب صدقها، لوقعها في أثر المتلقي لتصديقها بحال تستوجب قضية ثانية مرتبطة بالأولى وتكون صادقة لافتراض مسبق سابق صحيح، أمّا النوع الثاني فيتمثل في "الافتراض المسبق التداولي"، هذا الافتراض لا يتعلق بالصدق أو الكذب فهو لا يتأثر بذلك إذ تبقى القضية ثابتة لدى المتلقي، بالرغم من النفي أو الإثبات؛ فالحقيقة الموجودة في الجملة تبقى ثابتة.

3- السياق التعليمي والافتراض المسبق

ينشأ السياق التعليمي في المؤسسات التربوية بين أشخاص يتفاعلون فيما بينهم لإنتاج معارف وتعلم كل ما هو جديد، إذ يعد القلب النابض لعملية التعليم، وقد ذكر "هاليداي" أنه "كثيراً ما يجري داخل الفصل هو بتأثير عوامل في إطار المنشأة التعليمية والمحيط التربوي والجماعة الأشمل"⁸ أي أنّ المنشأة التربوية هي التي تتحكم في سير عملية التعليم والأطر التي يجب أن يكون السياق تابعاً لها للتحكم في جو التعليم، فالسياق التعليمي هو موقف منتج من طرف أقطاب العملية التعليمية، يهدف إلى الوصول إلى اكتساب كفاءات تعليمية تظهر على المتعلم نهاية كل وحدة أو فصل تعليمي، تُمكنه من الرقي بفكره وتوجهاته مما يساعده على تجاوز وحل العديد من المشكلات الحاصلة في مجال التعلم، كما تمكنه أيضاً من ترجمة أفكاره إلى الواقع وتصحيحها وكل ذلك هذا يتم في سياق تعليمي معين.

4- الافتراض آلية تعليمية:

تركز الأبحاث التداولية على فهم الخطاب والتخاطب حيث تنظر إلى الخطاب ضمن السياق، فاللغة لم تعد تعتبر أداء فقط ولم تعد موضوع مستقلاً عن الممارسة، بل أصبحت منظمة وفق آليات لسانية تحكمها وتفسرها وفق قواعد محددة، فالتواصل مرتبط بالتفاعل وتبادل الخبرات بين متكلم يوجه كلامه نحو متلق قصد الفهم والإفهام.

5- الكفاية الاتصالية:

يرد مصطلح الكفاية الاتصالية عند "هيمز" الذي صاغه "ليقابل به مفهوم الكفاية الذي طرحه تشومسكي أمام مفهوم الأداء، ولقد صاغ هيمز هذا المصطلح ليشمل الإلمام بقواعد علم اللغة الاجتماعي، أو مناسبة الحديث للسياق الاجتماعي بالإضافة إلى الإلمام بالقواعد النحوية".⁹ فمن هذا المنطلق يتّضح أن الكفاية الاتصالية مرتبطة بعلم الاجتماع، وللتمكن منها لا بد من الإلمام بالقواعد الاجتماعية مع القواعد اللغوية لحصول التفاعل بين المعلم والمتعلم.

يرى "كريستال" في دائرة المعارف اللغوية أن الكفاية الاتصالية تعني وعي الفرد للقواعد الحاكمة للاستعمال المناسب في موقف اجتماعي، بينما يرى روبين أن مصطلح الكفاية الاتصالية على مستوى الجامعة يشير إلى قدرة الطالب، وكذلك المعلم على بث واستقبال رسالة مناسبة للموقف، والظروف المحيطة والفعالة في تحقيق الهدف المنشود¹⁰، ويتّضح من هذه المفاهيم أن الكفاية الاتصالية متعلقة بالفرد وقدرته على احتواء القواعد اللغوية بقدر ارتباطه وقربه من مجتمعه كون التّواصل مرهون بالمعرفة الاجتماعية ولا يستطيع الطفل التّواصل ما لم يكن المعلم عالماً بما هو موجود في المجتمع قبل المعرفة اللغوية.

يشتمل مصطلح الكفاية الاتصالية على مفهومين أساسيين هما: المناسبة، والفعالية، فقد تكون الرسالة مناسبة للموقف، لكنها لم تكن فعالة كما ينبغي، وفي مثل هذا التعريف يستلزم الأمر الحكم على نتيجة الاتصال، ومدى فعاليته، وليس فقط على عملية الاتصال ذاتها¹¹، ويشترط أن تكون الرسالة المقدمة في العملية الاتصالية فعالة كي تؤثر في المتلقي وإلا أصبحت من دون معنى ولم تحقق الغاية التي وجدت من أجلها، الاتصال مربوط بهدف كما يرى العالم "ويمان" لأنّ الفرد الراغب في الاتصال مربوط بهدف.

6- شروط نجاح العملية التواصلية:

إنّ إتمام العملية التواصلية يحتاج إلى توفّر مجموعة الشُّروط التي إذا لم تتوفر يفشل التّواصل، ولا يتم الفعل الإنجازي للقول، إذ إن إنجازيّة الفعل هي الأهم من القول، وإن كان هناك قول من دون إنجاز فإن العملية التّبليغيّة قاصرة عن أداء ما هو مطلوب منها، وكما هو معلوم أن عناصر التّواصل تحمل هدفاً مشتركاً يتمثّل في تبادل الخبرات والمعارف وتطوير مهارات المتلقي للخطاب، وقد جمع لنا الباحث اللساني "غرايس" مبادئ فلسفية جعلها شرطاً أساسياً في نجاح العملية التواصلية:

- الكم: نقول ما هو ضروري بالضبط ولا نزيد أكثر من الضروري.
- الكيف: نقول ما ينبغي على أحسن وجه، نتوخى النزاهة وعلى أساس المعلومات الكافية.
- العلاقة أو الإفادة: نقول أشياء مفيدة للتفاعل، أشياء لها علاقة بالمحادثة.
- الجهة: نتكلم بوضوح، بالنبرة الملائمة... الخ¹²

تتوافق الشُّروط التي ذكرها "غرايس" المتعلقة بالقول مع الشُّروط الخارجية التي ذكرناها سابقا المتعلقة بالمقام والافتراض المسبق إذ بتوافر هذه الشُّروط يمكن نجاح الرِّسالة لغوياً وإنجازياً، فنوعي الافتراض المسبق تدخل فيهما هاتاه الشُّروط إذ تتحكم في القول من ناحية القواعد النحوية، وهذا ليصبح القول صحيحاً، وهذا ما يفرض على المتكلم حيث لا يستطيع تفادي القواعد النحوية، ومن جانب تداولي هو محكوم بقواعد اجتماعية، حيث يشترك فيها مع المتلقي الذي وبنسبة كبيرة يعلم هذه الخلفيات فمبدأ الكيف متعلق بالمجتمع يقول ما ينبغي، وأيضاً مبدأ الكم وما هو ضروري.

ينطلق أطراف الخطاب في أيّ عملية تواصلية، "من معطيات أساسية معترف بها ومعروفة، وهذه المعطيات تمثل الافتراضات المسبقة، وهي افتراضات لا يصحح بها المتكلمون، بل هي تشكل خلفية ضرورية لنجاح الرسالة، وهي دائماً محتوات في القول سواء تلفظ بهذا القول إثباتاً أو نفياً"¹³ فالافتراض المسبق يربط بينه وبين التواصل علاقة وطيدة، يؤسسها طرفي العملية التواصلية (المتكلم والمتلقي) يشتركان في عدة معارف، وكمثال على الافتراض المسبق أن تقول لشخص "أغلق النافذة" فهو بطبيعة الحال يملك افتراض بأنّ النافذة مفتوحة ويجب عليه غلقها، وهنا مدار الرسالة فقد تشكلت لديه خلفية سابقة وان لم يصحح بها فهو يعلمها، وهنا يمكننا القول بنجاح العملية التواصلية، إذا قام بإغلاق النافذة.

إنّ هذه القواعد وضعت أساساً لتحكم ظاهر الكلام، ولكي يتصف صاحبه بالكفاءة فهي عبارة عن نقاط تضبط الكفاءة البلاغية التداولية التواصلية لديه، فلكل قاعدة ضوابط تحكم الخطاب وتساهم في إنتاجه بشكل صحيح لتحقيق التواصل الفعال وتجنب الغموض والإبهام، ويهدف الخطاب عامة إلى تحقيق الإفادة القصوى من خلال تبادل المعلومات مع المتلقي، هنا يبرز مبدأ التعاون الذي تحدث عنه "غرايس"، حيث يظهر التعاون هنا بين أفراد الخطاب، فإن الامتناع عن التعاون يعلق التبادل التّواصلي، لذلك يعتمد أفراد الخطاب إلى تطبيق هذه القواعد.

7- وظيفة الافتراض المسبق في تطوير التّواصل: (العملية التعليمية)

إن مدار البحث كله متمثل في التّواصل وكيفية تطويره ليحقق الهدف المنشود، وقد عمدت جميع المناهج اللسانية إلى إيجاد آليات تجعل من التّواصل سهل المنال ومن أبرز هذه التّيارات اللسانية نجد التداولية التي سعت إلى تحليل الخطابات وتيسيرها للفهم بتتبع آليات أبرزها ما يعرف بالافتراض المسبق، وما لا يخفى علينا أن كل ما هو في المجتمع مرتبط بالتواصل إذ لا تستطيع أن تتعامل مع غيرك إلا إذا تواصلت معه، والعمليات التفاعلية بين عناصر المجتمع يحتل فيها التّواصل المكانة العظمى، إذ يعتبر الوسيلة التي يتم من خلالها نقل الخبرات والمعارف، فالمتعلّم ينقل خبرته إلى من يملك مستوى أقل منه والمدير ينقلها إلى المعلمين والرئيس ينقلها إلى الوزراء وهكذا...، ومناطق بحثنا متعلق بالعملية التعليمية التي تتشكل من أقطاب ثلاثة (معلم. متعلّم. محتوى)، المعلم يعتبر مدار العملية التعليمية إذ أنه يشترك المتعلم فيها، وما أملت الوضعيّة الراهنة فإن المعلم يعتبر مرشداً وموجهاً للمتعلّم، أما المتعلّم فهو يشارك

في إنجاح العملية التّواصلية لقدرته على التّفاعل مع المعلّم وإضافة الإيجابيات التي تثرى الدرس، أما المحتوى فعلاقته تكون مع المعلم الذي وبخبراته السابقة ينقلها للمتعلم في أحسن وضعية ليتمكن من فهمه واستيعابه، وانطلاقاً من معارف المعلم السابقة فإنه يستطيع التّعامل مع معطيات المحتوى لإخراجها في صورة بسيطة وسلسلة تمكن المتعلم من فهمها وإثراءها بما هو جديد من خلال مكتسباته السابقة هو أيضاً، ويقترن نجاح عملية التّواصل بين المتعلّم والمعلّم تنطلق بالمحتوى والافتراضات السابقة لدى المعلّم والمتعلّم، فما يوضع من برامج حالياً يتناسب مع المستويات ولا يمكن للمعلّم أو المتعلّم أن لا يملك افتراض سابق على ما هو موجود، مثلاً إذا تحدثنا عن كرة القدم فإن المتعلم وإن لم يكن على علم بالمحتوى الموجود في الكتاب فإنه يعرف عن كرة القدم أشياء أخرى كذلك المعلّم، والافتراض المسبق يسهل التّواصل وهنا بإمكاننا القول بنجاح العملية التعليمية، بتوافق بين المعلّم والمتعلّم.

يتصدّر المعلم عملية توصيل المعلومات للمتعلّمين فهو في ظل المقاربة بالكفاءات يعتبر موجه، وعند وضع المعلم لوضعية الانطلاق التي هي محور الدّرس فإنه لا يضعها من فراغ وإنما يعتمد على معطيات سابقة من الممكن أن يكون المتعلم على علم بها لتسهيل من المحتوى القادم، وهنا يتجلى دور المعلّم في فهمه لما يقدمه للمتعلّم الذي يراعي العديد من التّقاط أبرزها قدراته الذّهنية ومستواه التعليمي، والفروق بين المتعلمين لنجاح العملية التّواصلية وتحقيق مقاصد التّعليم.

تركّز المنظومة التعليمية على المتعلّم باعتباره هدف العملية التعليمية التعلّمية، ولذلك أصبح هو من يدير العملية التعليمية والمعلم موجه له، وكلّ تقييم يحسب للمتعلّم إنّما يكون لمعرفة مدى ترسخ المنهج المعتمد، ومدى نجاح المنظومة في تطوير النّشء، إذ يجب على المعلّم أن يراعي في بناءه للافتراض المسبق أحوال المتعلم، لأنّ إنتاج رسالة ما وأنت على علم بأن المرسل إليه لا يعلم ولو بنسبة صغيرة فحوى هذه الرسالة، هذا لا يحقق هدف التّواصل، ذلك أن: "المرسل إليه حاضر في ذهن المرسل عند انتاج الخطاب، سواء، أكان حضوراً عينياً أو استحضاراً ذهنياً"¹⁴ وما نستشفه من هذا أن استحضار حالة المتعلم في إطلاق الخطابات واجب لضمان وجود التفاعل، فالمعرفة المشتركة بين المعلم والمتعلم تشكل أرضية لإنجاز الخطاب و إنجاح عملية التواصل.

8- الافتراض التّداولي التّواصلي:

يطلق مصطلح الافتراض التّداولي على " كل المعلومات التي ينقلها القول والتي تتعلق بشروط النّجاح (وبنوع خاص بشروطه التمهيديّة) والتي يجب استفاؤها بغية تمكين فعل الكلام الذي يدعي القول انجازه من النّجاح على صعيد تأثيره على المباشر"¹⁵ ويتعلّق هذا النوع من الافتراض المسبق بالقول الذي تحكمه مجموعة من الشّروط لا نجاحه التي يجب أن تتوفر وحسب "أوريكيوني" فإن هذا الافتراض يتحقق بطبقتين:

1-8 - طبقة الافتراضات الوجودية الفرعية:

تفترض العبارات المعرفة "وجود الغرض الذي تشير إليه سواء كان ذلك العالم حقيقي أو الخيالي الذي يقدمه الخطاب أو يبنيه" ¹⁶ ومثال ذلك نقول (أعطني الهدية التي لديك) هنا أداة التعريف (ال) الموجودة في كلمة هدية تدل على وجود افتراض مسبق يدل على علم المتكلم بوجود هدية عند المتلقي فكلاهما يعلم بوجود الهدية وهنا يتحقق نجاح الكلام ويتحقق التواصل، والافتراضات المسبقة الوجودية تبينها العبارات المعرفة وهو ما توضح من خلال المثال.

2-8 - طبقة الافتراضات المستعملة للتسمية :

إن استعمال أي مصطلح "يستلزم ملاءمته المرجعية، أي أنه يستلزم أن يتمتع العنصر التعييني بالخصائص التي تناسب وسميات العبارة المناسبة" ¹⁷ ولتوضيح ذلك نضرب المثال الآتي: "أقلع ياسين عن شرب الخمر الفعل أقلع يستلزم وجود شارب للخمر من قبل، هناك افتراض مسبق يدل على أن ياسين كان شارب للخمر وقد أقلع عنه" ¹⁸ في هذا الافتراض لابد من تلائم الوحدات في العبارات وأن تكون العبارات المنتقاة مناسبة للتسمية لصحة الافتراض وتوقع ما هو موجود، وقد وضعت هذه القواعد وضعت أساساً لتحكم ظاهر الكلام، ولكي يتصف صاحبه بالكفاءة فهي عبارة عن نقاط تضبط الكفاءة البلاغية التداولية التواصلية لديه، لكل قاعدة ضوابط تحكم الخطاب وتساهم في إنتاجه بشكل صحيح لتحقيق التواصل الفعال وتجنب الغموض والإبهام، ويهدف الخطاب عامة إلى تحقيق الإفادة القصوى من خلال تبادل المعلومات مع المتلقي، هنا يبرز "مبدأ التعاون" الذي تحدث عنه "غرايس"، حيث يظهر التعاون هنا بين أفراد الخطاب، فإن الامتناع عن التعاون يعلق التبادل التواصلية، لذلك يعتمد أفراد الخطاب إلى تطبيق قواعد المحادثة. ولتبيين أهمية الافتراض المسبق ودوره في تحقيق التواصل نتناول عينة من مراحل الانطلاق في نصوص السنة الرابعة من التعليم الابتدائي في نشاط فهم المكتوب بالدراسة والتحليل كما يأتي:

- مثال من مرحلة الانطلاق في فهم المكتوب:

انضم إلى قسمك تلميذ جديد يعاني من التأثأة؟

أولا التأثأة معرفة هناك افتراض لدى المعلم بمعرفة التلاميذ بمعنى هذا المرض لذلك طرح السؤال

ينتظر المعلم تصورات التلاميذ ثم يطرح السؤال: كيف تتصرف اتجاهه؟ وكيف تتوقع معاملة المعلم له؟

إجابة التلاميذ ستكون وفق افتراضاتهم السابقة وتجاربهم الاجتماعية ففهمهم لمعنى هذا المرض يمكنهم من الإجابة والتواصل مع المعلم وإثراء الدرس للتمكن من فهم ما هو متبقي، الإجابة تكون مختلفة من تلميذ إلى آخر كل حسب تصوره، ويحاول هنا المعلم استدراج التلاميذ لاستخراج المعاني التي يريدها ومن ثم يمهد لعنوان النص، بعد ذلك تأتي مرحلة قراءة النص من تلميذ إلى آخر هنا يقوم المعلم

مع المتعلمين في ضوء الافتراض المسبق باستنتاج النص، لاستدراجهم إلى خفاياه تارة من خلال شرحه وتارة من خلال طرحه لبعض الأسئلة لمعرفة المقاصد الخفية وراء هذا الخطاب، ومعرفة دلالات النص التي افترضها المتعلمون فالنصوص مختارة تكون في طواعية المتعلم ولا تكون مستعصية عليه فهي مختارة بالنسبة لسنّه .

نأخذ أيضا عينة من دراسة نص: "رسالة الثعلب" جاء هذا النص في المقطع الرابع (صفحة 61) من الكتاب المدرسي:

أولا: وضعية الانطلاق:

يمهد المعلم للمتعلم حول فحوى النص قبل بداية قراءته، حيث ينطلق من افتراضات مسبقة انطلاقا من الواقع الخارجي بإمكانه طرح بعض الأسئلة:

- بما يتميز الثعلب؟

المتعلم يتوقع إجابات حول الثعلب بناء على افتراضات مسبقة لدى المتعلمين

تكون الإجابات كالتالي: يتميز الثعلب بالحيلة والمكر والذكاء، هذه المعلومات مشتركة بين المعلم والمتعلم لافتراض مسبق بينهم، على أن هذا السلوك غير جيّد، وينافي القيم الأخلاقية.

- الثعلب يفترس الدجاج من المزارع؟ في رأيكم هل هذا سلوك جيّد؟

يفترض المتعلمين أن الثعلب محتال والسلوك غير جيّد لأنّ الإنسان بطبيعة الحال ضحية مكر الثعلب يستقي المعلم بناء على افتراضات مسبقة من العنوان شخصية الثعلب الماكرة الذي وجه رسالة للناس على أنه يحتاج الى الطعام والقوت اليومي.

بعد قراءة المتعلمين للنص يطرح المعلم العديد من الأسئلة الإجابة تكون بناء على محتوى النص، يمكن للمتعلم أن يغيّر فيها، يحاول دائما المعلم استنتاج النص وفق افتراضات مسبقة، لاستدراج المتعلمين إلى الدلالات الضمنية للألفاظ واستخراج الخفي منها مثلا جملة " هذا غير موجود في بني الإنسان " تحوي معنى خفي وهو أنّ الإنسان أيضا يتميز بالمكر والخديعة.

إنّ الأسئلة التي يطرحها المعلم للمناقشة مع المتعلمين مبنية على افتراضات مسبقة، هذه الافتراضات تمثل جسر تواصل بين المعلم والمتعلم، فإذا كان التّواصل غير مشترك بين الطرفين تكون الإجابة مخالفة لتوقعات المتلقي أو المتكلّم.

تظهر جليا في الدروس المقدمة للتلميذ العديد من أنواع الافتراض المسبق: منها المعجمي، ومنها البنيوي والسياقي، ففي السياق المعجمي مثال ذلك: استعمال المعلم لكلمات تكون معروفة لدى المتعلم ويفهم

معناها مثل قولنا: فلان أقلع عن تعاطي المخدرات، هذا السياق يفرض وجود جملة لدى المتعلم أن فلانا كان يتعاطى المخدرات من قبل، هنا افترض المتعلم مفهوماً آخر غير موجود.

ولنأخذ أيضاً مثال في الافتراض البنوي يطرح المعلم أسئلة من نوع: متى، أين... إلخ: من أين اشتريت المعطف؟ اشتريت معطفاً هذا يفرض في ذهن المتلقي أنه بالفعل لديه معطف وأنه اشتراه، فالافتراض البنوي يجعل من المعلومة التي يتكلم بها المتكلم، هي نفسها التي يجب على السامع تصديقها.

يظهر أيضاً دور الافتراض المسبق في العملية التواصليّة من خلال الإنتاج الشفهي، الذي بدوره يبيّن الفاعلية بين المعلم والمتعلم، حيث يبرز التواصل في الحوار، وتظهر قدرات المتعلم على تقصي المعلومات مسبقاً من خلال تجاذب أطراف الحديث مع المعلم. وكمثال على ذلك الإنتاج الشفهي (صفحة 13) من الكتاب المدرسي، يتكون النشاط من (4) صور معبرة وأسئلة، يتعلق الإنتاج الشفهي فيها بالهوايات والنشاطات التي يقوم بها كل فرد حسب رغباته وميولاته.

ينتج المعلم نص صغير كتمهيد للإنتاج الشفوي مثلاً: أنا أحب ممارسة كرة القدم، هذا من شأنه أن يعطي انطباع لدى التلميذ عما يتحدث المتعلم؟ يتبادر إلى ذهنه افتراض مسبق عن الهواية؟ وأن المعلم سيطرح سؤال حول الهوايات المفضلة للمتعلمين. إنّ التمهيد الذي قاله المعلم ساهم في إنتاج تواصل فعال مع المتعلمين شكل لديهم افتراض مسبق حول السؤال الذي سيطرحه المتعلم، هذا السؤال يجعل من المتعلم يشكل إنتاج شفوي في مخيلته حول الهواية المفضلة لديه.

يطرح المعلم مقدمة أخرى مثلاً بقوله: "أرى أنه من حقي أن ألعب كرة القدم، يشكل ذلك خلفية مسبقة لدى المتعلم، أولاً للإنسان حقوق يتمتع بها، وأن المعلم على دراية بفهم المتعلم أن له حقوق يستنتجها من كلام المعلم، إذا كان المعلم يتمتع بحقوقه كاملة فالطفل أيضاً يتمتع بحقوق كاملة، يذكر المتعلم حقوق الطفل من خلال الصور التي يشاهدها. ويتجلى الافتراض المسبق في التحوار القائم بين المعلم والمتعلمين، أولاً يشكل لمحة تواصلية فعالة في القسم، ثانياً الخلفيات المسبقة لدى المتعلم تسهل سير الدرس بين المعلم ومتعلميه، المعلم يكون على علم بمعرفة المتعلم سابقاً بما ينقله إليه من معلومات.

ونضرب مثلاً آخر في هذا السياق يتمثل في نص بسيط من كتاب السنة الرابعة :

"ذهب أحمد إلى السوق مع والده، فاشترى بعض الفواكه والخضر، وفي الطريق صادف صديقه كريم، فتحدثا قليلاً ثم واصل طريقه إلى البيت"

هناك العديد من الافتراضات الموجودة في النص نفصلها كالآتي :

وجود سوق يعرفه المتعلم (افتراض مسبق ثقافي/اجتماعي)

أن الطفل يعرف أن الفواكه والخضر تشتري عادة من السوق (افتراض معرفي)

وجود علاقة اجتماعية بين أحمد وصديقه كريم (افتراض ضمني)

عودة أحمد ووالده إلى البيت بعد انتهاء التسوق (افتراض منطقي)

هنا نتساءل عن كيفية توظيف الافتراض المسبق في العملية التعليمية، يمكن القول بأنه يتم من خلال ربط المعلم النص بخبرات المتعلم، بطرح الأسئلة من منكم ذهب إلى السوق مع والده؟ ماذا يشتري الناس عادة؟ يساعد الافتراض المسبق في فهم المعنى الضمني دون الحاجة إلى تفسير كل كلمة.

يساعد الافتراض المسبق في تطوير الكفاءة التواصلية من خلال لمسه جميع جوانب الكفاءات التداولية من خلال فهم السياق الاجتماعي التسوق، التحية، الحديث، الكفاءة اللغوية توظيف التراكيب: ذهب، اشترى، صادف.....الكفاءة الثقافية تتمثل في التسوق مع الوالد، بالكفاءة الاستراتيجية تتمثل في القدرة على طرح الأسئلة واستنتاج المعنى وابداء الرأي.

إنّ ما يمكن قوله إنّ العملية التعليمية في المؤسسات التربوية القائمة بين المعلم والمتعلم لا تخلو أبداً من الآليات التي تملها اللسانيات الحديثة والتداولية كمنهج حديث، تفرض وجودها دون شعور فعندما تجد المعلم يراعي قدرات المتعلمين ويلجأ إلى افتراضات مسبقة لطرح القضايا، فأعلم أنّ هذه الآلية واجبة لتقوية أواصر التواصل بين المتعلمين وتكسب المتعلم قدرة للتواصل مع غيره دون إشكال يذكر.

خاتمة:

مما سبق ذكره في هاته الورقة البحثية نخلص إلى عديد النقاط التي من الممكن أن تكون خاتمة لهذا البحث:

- إنّ الافتراض المسبق آلية من آليات التحليل التداولي.
- تقوم العملية التواصلية المبنية بين المعلم والمتعلم على الافتراضات المسبقة.
- إنّ التجربة الاجتماعية للمتعلم تمكنه من اكتساب افتراضات مسبقة تساعد في فهم ما يتلقى.
- يراعي المعلم في تعليمه للتلاميذ افتراضاتهم السابقة حول الموضوع.
- وضع "غرايس" شروط لنجاح العملية التواصلية: الكم، کیف، الجهة والعلاقة أو الإفادة.
- العملية التعليمية محكومة بسياق تعليمي.
- الافتراض المسبق نوعان: افتراض دلالي، وافتراض تداولي.
- الكفاية التواصلية تقوم على أساس المناسبة والفعالية.
- الافتراض المسبق آلية تسهل للمعلم والمتعلم عملية التواصل بسهولة.

الإحالات :

- ¹-نادية رمضان النجار، الاتجاه التداولي الوظيفي في الدرس اللغوي، مؤسسة حورس الدولية، الاسكندرية، مصر، ط1، 2013، ص68
- ²- ليلي كادة، المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية ظاهرة الاستلزام التخاطبي، اطروحة دكتوراه في علوم اللسان، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، ص67
- ³ - ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الامل، تيزي وزو، الجزائر، ط2، ص136
- ⁴ كارتن كيبررات اوركيوني، المضمير، تر: ريتا خاطر، المنظمة العربية للترجمة بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص48
- ⁵ هشام صويلح، الافتراض المسبق في الدرس التداولي انماطه وتطبيقاته، مجلة المقال، جامعة باجي مختار عنابة، الجزائر عدد6، فيفري 2018، ص141
- ⁶ محمود احمد نحلة، افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، د. ط، 2002م، ص28.
- ⁷ خولة طالب الابراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصة، حيدرة، الجزائر، ط2، 2000، ص161
- ⁸ صلاح بن فهد العصيمي، السياق التعليمي ودوره في العملية وعلاقته بالإصلاح والتغيير، المجلة العربية للناطقين بغيرها، عدد20، يناير 2016، ص57
- ⁹ رشدي احمد طعيمة، المهارات اللغوية، مستوياتها، تدريسها، صعوباتها، دار الفكر العربي، عمان، ط1، 2004، ص83
- ¹⁰ المرجع نفسه، ص172
- ¹¹ المرجع نفسه، ص173
- ¹² فيليب بلانشيه، التداولية من اوستن الى غوفلمان، تر، صابرحباشة، دار الحوار ، سوريا، د.ط، 2006، ص84.85
- ¹³ الجيلالي دلاتس، مدخل الى اللسانيات التداولية ، تر :محمد يحياتين ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ص32
- ¹⁴ بن ظافر الشهري عبد الهادي، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتب الجديدة، بيروت لبنان، ص148
- ¹⁵ كارتن كيبررات اوركيوني، المضمير، مرجع سابق ص69
- ¹⁶ المرجع نفسه، ص73
- ¹⁷ المرجع نفسه، ص73
- ¹⁸ ينظر المرجع نفسه، ص73

9.المراجع:

- بن ظافر الشهري عبد الهادي، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتب الجديدة، بيروت لبنان
- الجيلالي دلاتس، مدخل الى اللسانيات التداولية ، تر :محمد يحياتين ، ديوان المطبوعات الجامعية .
- خولة طالب الابراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصة، حيدرة، الجزائر، ط2، 2000.
- ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الامل، تيزي وزو، الجزائر، ط2
- رشدي احمد طعيمة، المهارات اللغوية، مستوياتها، تدريسها، صعوباتها، دار الفكر العربي، عمان، ط1، 2004.
- صلاح بن فهد العصيمي، السياق التعليمي ودوره في العملية وعلاقته بالإصلاح والتغيير، المجلة العربية للناطقين بغيرها، عدد20، يناير 2016.
- فيليب بلانشيه، التداولية من اوستن الى غوفلمان ، تر ، صابرحباشة، دار الحوار ، سوريا، د.ط، 2006.
- كارتن كيبررات اوركيوني، المضمير، تر: ريتا خاطر، المنظمة العربية للترجمة بيروت، لبنان، ط1، 2008.
- ليلي كادة، المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية ظاهرة الاستلزام التخاطبي، اطروحة دكتوراه في علوم اللسان، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر
- محمود احمد نحلة، افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، د. ط، 2002م.
- نادية رمضان النجار، الاتجاه التداولي الوظيفي في الدرس اللغوي، مؤسسة حورس الدولية، الاسكندرية، مصر، ط1، 2013.
- هشام صويلح، الافتراض المسبق في الدرس التداولي انماطه وتطبيقاته، مجلة المقال، جامعة باجي مختار عنابة، الجزائر عدد6، فيفري 2018..